المحاضرة السادسة :النظرية السلوكية

بالنسبة للنظرية السلوكية ،" السلوك الظاهر هو ما يمكننا دراسته و قياسه علميا ، و شخصيتنا ما هي إلا مجموعة إستجاباتنا السلوكية الناتجة عن المثيرات .و هذا يعني بإختصار أن شخصية الإنسان ما هي إلا نتاج للتعلم المباشر" .

كما يوضح السلوكيين عملية الإكتساب المستمر لنماذج الإستجابة المميزة من خلال مبادئ التعلم ، و قد درسوا التعلم في صورته الأولية بتجربتهم العملية لما يسمى بالإشراط الذي يعمل على تقوية أو إضعاف هذه الإستجابات .و قد أكدت هذه المدرسة على نوعين من انواع الإشراط : الكلاسيكي و الإجرائي و لكل منهما دور في حياة الفرد و تشكيل شخصيته .

وتركز النظريات السلوكية على أن الشخصية ليست أكثر ولا أقل من مجموعة من الأنماط السلوكية المتعلمة، وأن الشخصية – مثلها في ذلك مثل أي سلوك متعلم – مكتسبة من خلال الإشراط التقليدي والإجرائي، والتعلم بالملاحظة، وتبعاً لمبادئ التدعيم، والانطفاء، والتعميم، والتمييز...، وغيرها(عبد الخالق ،2015ص 260).

أهم خصائص السلوكية:

على الرغم من الاختلاف بين النظريات السلوكية قديمها وحديثها فإنها تشترك في موضوعات ثلاثة أساسية تميز السلوكية ككل، وهي :الملاحظة، والتركيز على تأثير البيئة، والتعلم.

الملاحظة :تهتم السلوكية تقليديا بالسلوك القابل للملاحظة بشكل مباشر (فالتفكير و المشاعر و العقل و الشعور تعد جميعا خارج المجال العلمي للسلوكية الأولى .

البيئة :تركيز السلوكيين على البيئة بوصفها محددا أساسيا للسلوك فهي تمدنا بالمنبهات Stimulis التي تشكل سلوك الفرد و الذي يظهر في شكل إستجابات Responses فالمواقف البيئية هي المحركات الأساسية للسلوك .

السلوك متعلم: إن السلوك يتطور ويتم تعلمه في مراحل مبكرة حيث يخضع السلوك لمبادئ التعلم الاساسية اكثر من خضوعه للمحددات البيولوجية والوراثية.

يتلخص مبدأ النظرية السلوكية، في أن السلوك يكون استجابة لمثير ينتهي باستجابة ما، فالسلوك مكون من إفرازات غددية و حركات عضلية و هو على هذا خاضع للعمليات الفسيوكيميائية؛ فالمحيط يوفر مجموعة من المثيرات التي تنبه الكائن الحي إلى إحداث استجابة ما، و بذلك فإن هناك استجابة فورية

من نوع ما لكل مثير، بالإضافة إلى أن كل استجابة لها نوع ما من المثير، و عليه فإن هناك حتمية بين المثير و الاستجابة.

وتركز النظريات السلوكية على أن الشخصية ليست أكثر ولا أقل من مجموعة من الأنماط السلوكية المتعلمة،وأن الشخصية – مثلها في ذلك مثل أي سلوك متعلم – مكتسبة من خلال الإشراط التقليدي والإجرائي، والتعلم بالملاحظة، وتبعاً لمبادئ التدعيم، والانطفاء، والتعميم، والتمييز...، وغيرها

يوجد نوعان من الاشراط(الاقتران :)

1 الاشراط الكلاسيكي .2 .الاشراط الإجرائي.

السلوك يتم تعلمه ضمن النتائج المترتبه عليه، أي ان السلوك مرتبط بالنتائج التي تتبع هذا السلوك.

الاشراط الكلاسيكي :هذا السلوك مرتبط بخبرات ايجابية وممتعة سابقة.

الاشراط الاجرائي :مرتبط بنتائج ايجابية ومرغوبة.

أولا جون واطسون: الإشراط الكلاسيكي

يرى واطسن (1878– 1958) مؤسس المدرسة السلوكية أن الشخصية لا تورث بل تتشكل من عادات وسمات مكتسبة طبقا للارتباط الشرطي بين المثيرات والاستجابات، فليس هناك ذكاء موروث أو غرائز موروثة، ويؤكد بأنه بالإمكان تدريب الطفل وتعليمه لنجعل منه الشخص الذي نريده .

عرف واطسن "الشخصية هي مجموع النشاطات التي يمكن اكتشافها عن طريق الملاحظة الفعلية للسلوك لفترة كافية بقدر الإمكان، لكي تعطي معلومات موثوق بها... ، وبكلمات أخرى فإن الشخصية ما هي إلا النتاج النهائي لأنظمة عاداتنا".

و ركز واطسن على إستبدال الإستبطان (اسلوب غير علمي) بملاحظة السلوك بشكل موضوعي و إعتبر أن الشعور والحالات العقلية – في أحسن الأحوال – ظواهر ثانوية مصاحبة.

تتميز سلوكية واطسن بعلامتين رئيسيتين :

أ– التنبؤ بالإستجابة على أساس معرفة المثير .

ب – التنبؤ بالمثير على أساس معرفة الإستجابة .

مبادئ الإشراط الكلاسيكي :

مثير محايد (دق الجرس)←——— إستجابة طبيعية (الإنتباه)

مثير أصلي(تقديم الطعام)←——— إستجابة أصلية (سيلان اللعاب)

مثير شرطي (دق الجرس)←——— إستجابة شرطية (سيلان اللعاب).

تعريف الإشراط الكلاسيكي :بأنه عملية اقتران بين مثير شرطي ومثير غير شرطي بحيث يتمكن المثير الشرطي(الذي كان أصلاً مثيراً محايداً) من انتزاع الاستجابة التي ينتزعها المثير غير الشرطي .بدأت من خلال تجارب(بافلوف)على الكلاب وعمليات الهضم لديها، حيث انتبه الى ظاهرة سيلان اللعاب عند سماع صوت الجرس وعند رؤية الشخص الذي يقدم الطعام اليها.

مفاهيم أساسية في نظرية الإشراط الكلاسيكي : الإنطفاء ،التعزيز ، التعميم .

- ثانيا نظرية الإشراط الإجرائي (سكنر1904-1990)

وحدة البناء الأساسية **للشخصية** لدى أصحاب المنحى السلوكي بوجه عام وسكنر بوجه خاص هي الاستجابة ويمكن أن تتفاوت الاستجابة عبر مدى واسع يبدأ من الاستجابة المنعكسة البسيطة من مثل سيلان اللعاب لوجود الطعام(و الإجفال نتيجة ضوضاء مرتفعة) حتى جوانب السلوك المركبة من مثل : حل مسألة رياضية، والأشكال المستترة من العدوان ،والأمر الأساسي في تعريف الاستجابة هو أنها تمثل جانباً من السلوك الخارجي والقابل للملاحظة الذي يمكن أن يرتبط بأحداث في البيئة، وتتضمن عملية التعلم في المقام الأول ترابط الاستجابات أو ارتباطها بأحداث في البيئة.(عبد الخالق ،2016 ,ص 274)

منهج سكنر:ركز سكينر على الإستجابة و التعزيز في عملية السلوك الإنساني يتعامل الاشراط الاجرائي حسب وجهة نظر العالم(سكنر) مع نتائج السلوك بشكل رئيسي .تحدث سكنر عن التحليل الوظيفي للسلوك، حيث ربط ما بين السلوك و الظروف التي يحدث بها هذا السلوك من حيث السوابق واللواحق.

السلوك الاستجابي :وهو سلوك مرتبط بمثيرات غير شرطيه ويكون على شكل انعكاسات مثل اغلاق العين عندما تتعرض الى الضوء.

السلوك الاجرائي :وهو السلوك المرتبط مباشره بالنتائج ،(سواء كانت هذه النتائج معززة او معاقبة للفرد.) ان السلوك الاجرائي هو نفسه ما يسمى بالسلوك الادائي حيث ان معظم السلوكات يتم تعلمها كاجراءات تؤدي في النهاية الى وظيفة الاستجابه وهذه السلوكات تتضمن افعال تدعى احياناً بالانعكاسات فمثلاً

عندما يقف السائق بشكل ألي او تلقائي عند الاشاره الحمراء او عندما يركز الطالب تركيزاً عالياً عندما يبدأ المعلم بالحديث عن الامتحان، فأن هذه المواقف تعتبر مؤشرات لحدوث الاستجابه وهذه المؤشرات تسمى لدى(سكنر)بالمثير التمييزي.

الإشراط الإجرائي:

– أحد أهم مبادئ النظرية السلوكية هو الإشراط الإجرائي الذي قدمه **سكينر** "وهو نوع من الاكتساب الذي يحدث عندما نتعلم إقامة علاقة بين سلوكنا ونتائج معينة، والفكرة الأساسية هي أن الناس يتصرفون بطرق يتوقع منها أن تحدث التدعيم، وأن الفروق الفردية في السلوك تنتج أساساً عن الفروق في الأنواع المختلفة من خبرات التعلم التي يمر بها الفرد خلال نموه . ويتشكل السلوك هنا بسبب نتائجه ، فتزيد العواقب الإيجابية للسلوك من إحتمال حدوثه بشكل متكرر ، و يدعم الترابط هذا السلوك و المنبهات التي تكون موجودة عندئذ في البيئة ، و عكس ذلك،فإن العواقب السلبية تنقص من إحتمال حدوث السلوك في المستقبل ، و ستشكل السلوك عن طريق الثواب و العقاب ، و قد ذكر سكينر " أن الثواب هو مفتاح السحري لعملية التعلم".

يوجد ثلاث انواع من المعززات : المعززات الإيجابية ، و المعززات السلبية ،و العقاب .المعزز هو الحدث الذي يظهر مباشرة بعد الإستجابة ويؤدي إلى تكرار أو تقليل نسبة حدوثه مرة أخرى .

(Hansenne.2004,p 32)

مفاهيم أساسية في نظرية سكنر :

أولا : التعزيز :

كل حدث يمكن أن يعقب إستجابة ما و يزيد من إحتمال (أو معدل) حدوثها سمى معززا ، وتنقسم المعززات إلى نوعين أساسين هما :

المعززات الموجبة : و هي المعززات التي تمد الفرد بما يبعث في نفسه السرور بعد كل سلوك أو إستجابة :

– (**أولية** : ترتبط ببقاء الفرد كالطعام و الشراب و مزيلات الألم)

– (**ثانوية** :معززات تتبع الإستجابة و تزيد من معدلها ،أكتسبت بالتدريب كالمدح، والإهتمام، والتلاحم الجسدي ، والإبتسام أو تكسب قيمتها التعزيزية كنتيجة إقترانها بمثيرات بيولوجية طبيعية كالمال .....

– مثال تجربة صندوق سكينر (الحمامة التي تنقر على المفتاح **مثير** .و**الإستجابة** هي ظهور الأكل)

– **المعززات السالبة** :في حين يقدم للكائن الحي في حالة التعزيز الايجابي شيء ما يرغبه، إلا أنه في حالة التعزيز السلبي يتم إستبعاد شيء ما لا يرغبه و تنقسم المعززات إلى نوعين أيضا :

– **معززات أولية سلبية** : و تتضمن أي أستجابة تزيل أو تخفض المثيرات غير المرغوبه التي توقع أي نوع من الأذى أو الضرر بالكائن العضوي و يترتب على ذلك زيادة السلوك كالأصوات المرتفعة أو الصدمات الكهربائية (الهروب العارض)

– **معززات ثانوية سلبية من** أمثلتها الخروج المبكر من المدرسة نتيجة الإلتزام بالنظام طوال اليوم الدراسي (الهروب من مواقف مكروهة)

العقاب : إما أن يتضمن إزالة معزز موجب أو إضافة معزز سالب. أو بعبارة أخرى .فالعقاب يتضمن إستبعاد شيئ يرغبه الكائن العضوي أو إظافة شيئ يكره الكائن العضوي .

الإنطفاء :و الذي يشير إلى تناقض السلوك الذي لا يتم تعزيزه لفترة طويلة حتى يختفي في المستقبل ,

التعميم

ثالثا :التعلم بالملاحظة عند باندورا

قدم باندورا نظرية شاملة في التعلم الاجتماعي، حيث وَسَّع مجال التعلم ليشمل التعلم بالملاحظة والعمليات المعرفية، مع التركيز على الطرق المعقدة التي تؤثر فيها متغيرات الشخص والبيئة والسلوك ذاته ،والبيئة أحد المحددات المهمة للسلوك في نظر أصحاب التعلم الاجتماعي، وعلى رأسهم "باندورا" .فيركزون على أهمية المحددات البيئية والموقفية للسلوك، إن السلوك – كما يرون – نتيجة تفاعل مستمر بين المتغيرات الشخصية والبيئية.وتعتبر الملاحظة أو النمذجة من الأساليب التي تساعد على نمو الشخصية .

يعتمد مفهوم نموذج **التعلم بالملاحظة** على إفتراض مفاده أن الإنسان ككائن إجتماعي يتأثر بإتجاهات الآخرين و مشاعرهم و تصرفاتهم و سلوكهم ،و ينطوي هذا الإفتراض على أهمية تربوية بالغة آخذين بعين الإعتبار أن التعلم بمفهومه الأساسي عملية إجتماعية .و يطلق باندورا على التعلم بالملاحظة و الذي يحدث عندما يقوم المتعلم بتقليد سلوك يظهر عند نموذج إسم " النمذجة "،و تشير نظرية التعلم الإجتماعي إلى أن هناك أربعة مراحل للتعلم بالملاحظة أو النمذجة و هي :

1- **مرحلة الإنتباه** :حيث يعتبر الإنتباه شرطا أساسيا للتعلم ، و تلعب الحوافز دورا مهما في عملية الإنتباه ، أما درجة تمييز المثير و نسبته و تعقده توضح إلى أي مدى يمكن أن تستمر عملية الإنتباه.

2- **مرحلة الإحتفاظ** :يحدث التعلم بالملاحظة من خلال الإتصال و التجاور فالملاحظون الذين يقومون بتدبير الأنشطة المنمذجة يتعلمون و يحتفظون بالسلوك بطرق أفضل من الذين يقومون بالملاحظة و هم منشغلون بأمور أخرى .

3 - **مرحلة إعادة الإنتاج** : و يقصد به قدرة الملاحظ على تكرار السلوك الذي صدر عن النموذج بحرية ،و في هذه المرحلة من التعلم بالملاحظة يوجه الترميز اللفظي و البصري في الذاكرة للأداء الحقيقي للسلوكات المكتسبة حديثا و التعلم بالملاحظة يعتبر أكثر دقة عندما يتبع تمثيل الدور السلوكي للتدريب العقلي .

و يرى باندورا أن عملية التعلم الإجتماعي تتكون من جزأين هما :

1- وجود قدوة و ملاحظتها و تقليد سلوكها .

2- النظام النفسي للفرد (مفهوم الفرد عن قدراته) و من هنا نجد أن نظرية باندورا ترتكز أساسا على التقليد و التعلم بالملاحظة لنموذج معين و كذلك إحساس الفرد و قدرته على الإنجاز .